ذكريات وآراء
عن الأستاذ أحمد صافي النجفي

الدكتور فيصل دبدوب

عرفت الأستاذَ أحمدَ الصافي النجفي في العراقِ في أواخر الثلاثينات ، ثم تعرّفت عليه في الشام في أوائل الأربعينات ، عَرفتُه في العراق من تِلاوتي دواوينه ثم تعرّفتُ عليه في دمشق بعد التحاقي بكليةِ الطبِّ في جامعتها ، ثم تحوّلَ التعارفُ الى علاقةِ تلميذٍ بأستاذه ، ثم أصبحنا من الأصدقاء ، ولم أرَ من فارقٍ كبيرٍ بين حياةِ الأستاذِ وشعرِه ــ بعد أن عاينت حياته عن كثب ــ فقد عاشَ شِعْرُه ، والمؤمن إيماناً تاماً بشعره ليس أقلَّ من أن يسير على ما فيه هو نفسه . أمّا أن يكون شِعرُه في جانب وسيرتُه في جانب ، فإن دلَّ على شيء فانما يَدُل على عدم الاخلاص في أحدهما .

كثيراً ما كنتُ أُشاهدُ وأنا ذاهبٌ الى الجامعةِ أو عائدٌ منها ــ قبل أن أتعرّفَ على الأستاذِ الصافي ــ رجلاً أسمرَ اللونِ نحيفَ البنيةِ ، يختلفُ في زِيّه عن الناسِ ، يسير الهوينى في شارع الصالحيةِ أو ساحة المرجة ، يضعُ على رأسهِ الكوفيةَ والعقالَ ، وعلى كَتِفهِ العباءةَ يلتفُّ بها ، وينتعل الخُفَّ ، وبيده أو تحت ابطه الكتاب ، متجهاً نحو مقهى مالك أو هافانا أو البرازيل ، يمشي الى وجهته دون أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يلتفتَ يُمنةً أو يُسرةً كأنه الرُّمح السَّمهري ، فسألت عنه فقالوا إنّه الشاعرُ أحمدُ الصافيُ النجفيُّ ، فتقتُ الى التّعرفِ عليهِ ، وبعد أن عرَفته قلت لنفسي إن هذا الشاعرَ إن تناساه الجيلُ العربيُّ الحاضرُ ، فلسوف تعرفُ الأجيالُ العربيةُ المتصاعدةُ قدرهُ وترفع ذكرَهُ .

كان جلوسي الى الصافي في المقهى ، وكان يُفَضّلُ العزْلَة فيه إن لم يجد صديقاً يأنسُ بالتحدث اليه ، تماماً كما كان يفعلُ عندما يأوي الى غرفته في مدرسة الخياطين قربَ الجامع الأموي ، لولا قطّة كانت تؤنسه بمُوائِها وبالعطفِ عليها في عزلته في مأواه . أمّا إن جلس الى الأستاذ سمجٌ من الناسِ فسرعان ما يترُكُهُ ــ لقضاءِ حاجةٍ ــ على أن يعودَ اليه بعد قليل ، فيذهبُ ولا يعودُ ، وقد يتركُ المقهى مطلقاً إذا ما أعاد ذلك الثقيلُ زيارتَه ، وقد وصف الزائرَ الثقيلَ بقصيدةٍ مَطلَعُها :

لقد بلّدت إحساسي فقم يامزعج الناس

ووصف عزْلَتَه بقوله :

أقضّي حياتي مستلذاً بعزلة
أُمتع فيها النفسَ بالأدب الجمِّ
فلست لشخصٍ بالكلام مُقيّداً
ولا لكلامٍ شذَّ مني بمغتمّ
فيجري خيالي كيف شاءَ منظماً
وفي الناس يجري دون قصد ولا نظم

أما إذا بقي الصافي منفرداً بنفسه فسرعانَ ما يُخرجُ سُبْحتَه من جيبه يداعبُ حبّاتِها بأنامله ويحمّلُها شطراً من همومه .

ومسبحةٍ حمّلتُها الهمَّ مُجهداً
فسارت به حباتُها وهي لا تدري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأرهقها العِبْءُ الثقيلُ فمثّلت
لعيني أطفالاً محدّبةَ الظهرِ

لئن ساعدك الحظُّ وجلستَ الى الصافي في مجلس من مجالسه الأدبيّة ـ واطمأن اليك ـ إذاً لقد جلستَ الى مَعينٍ لا يَنْضبُ من القريض والمُلَح والنُّكَت والمفارقات ، يرسل النُّكتةَ فيضحكُ لها قبل أن يضحكَ لها الحاضرون ، وإن آنس منهم تجاوباً أرسل الثانيةَ والثالثةَ وهكذا حتى ليكادُ المرءُ من بينهم أن ينفزرَ من الضّحِكِ . وللأستاذ ذوقُه العاليُ في التنكيت وفي اختيار النُّكتةِ وتصيُّدِها .

كثيراً ما كنتُ أُشاهدُ الأستاذَ أحمدَ في المقهى وقد استوفز في جلسته ، والتفَّ بعباءته ، وأرسل ذؤابتي كوفيّته على عاتقيه ، ووضع نظّارته على أرنبة أنفه ، وأصابعه تُداعب حبّات سُبْحته ، فيخالُه الناظرُ اليه أنّه يتطلعُ الى المارّةِ ، في حين أنّه ساهٍ عن المقهى ومن فيه ، والشارعِ وما فيه ، فكأنّهُ يتطلعُ الى خارطةٍ للعالمِ العربيِّ المُمزّق الأوصالِ آنذاكَ ، بنظراتٍ حادةٍ قلقةٍ تمرقُ من نظّارته تماماً كما كان يتطلعُ غاندي الى واقعِ الهند ، مفكراً في مصيرِ بلده وقومه ، ولا عَجَبَ أن وضعتُ صورتي الصافي وغاندي في إطارٍ واحدٍ معاً ، ذلك للتشابه الكائنِ بينهما في السيرةِ والصورةِ ، فغاندي إن مثّل روحَ الهند وأمانيَّ الهنود ، فالصافيَ مثّلَ روحَ الشاعرِ العربيِّ الأصيلِ وأمانيَ العرب . كلاهما زَهد في الحياةِ من أجلِ غايةٍ أسمى من بهارجِ الحياةِ هي سعادةُ الانسانِ في وطنه ، وسعادةُ الوطنِ بوحدته ووحدة أبنائه وحرّيتهم ، وكلاهما فارق الحياةَ من طلقٍ ناريٍّ من فردٍ من أبناءِ وطنه وقومه الذين كرّس لهم حياته[1] .

---

(١) المعروف أن الصافي مات مريضاً على فراشه « لجنة المجلة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صحبت الأستاذ مرة الى حفل أقيم بدمشق لإعانة ميتم ، ووقف الشاعر الزركلي يلقي قصيدة بالمناسبة إستهلها بآية من الذكر الحكيم ، فصفق له الحاضرون ، وما أن انتهى الشاعر من قصيدته حتى التفت الأستاذ الصافي الي وقال : « لا تصدق ، إن التصفيق لم يكن إعجاباً بالقصيدة بل بالآية الكريمة ، فالتصفيق لله وليس للشاعر » . وألقى الأستاذ قصيدته ومطلعها :

أودى الردى بأبيه قبل فطامه فحسا المذلة في حليب المرضع

وقد استهلها بقوله : « اليتم من أسباب العظمة ، فالرسول كان يتيماً وأنا ولدت يتيماً وما أزال يتيما » ، ثم بكى وهو يتطلع إلى الأيتام الصغار وقد اصطفوا أمامه ، وبعد أن انتهى من إنشاده قال وهو يفتح باب التبرع : « إن اليتيم الكبير يتبرع بكل ما يملك للأيتام الصغار » ، وكان ما يملكه الصافي خمس ليرات سورية ، أي ما يعادل نصف دينار عراقي ، ثم انهالت التبرعات بعده بغزارة . وقد ذكر لي الأستاذ بعدئذ أنه بكى آلامه حين كان صغيراً لما بكى على الأيتام ، فانهلت العبرات منه بعامل الشعور الانساني الصادق المنبثق من معين التماثل بالمعاناة ، وقال : من ذكرياتي عن اليتم أني أجبرت وأنا ما أزال في مقتبل العمر على الاشتغال عاملاً في البناء ، فرفضت ثم أجبرت ثم فررت من العمل في منتصف النهار وما زال صاحب العمل مديناً لي بأجر نصف نهار ، أقول : إن الصافي أحسن الى الشعر والأدب ، والفرد والمجتمع في هذا الفرار ، إذ لولا ذلك لكانت خسارتنا لا تعوض .

كان يتحلق حول الأستاذ الصافي في مجالسه الأدبية نخبة من الأدباء والمفكرين ، وكانوا يجتمعون عصراً — غالب الأحيان —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مقهى البرازيل اذ كان يفضّله لخلوّها من ازعاج النَّردِ وصخبِ اللاّعبين :

ومقهى موجعٍ بالنردِ رأسي
يطيرُ مدى الحياةِ له نُعاسي

تعالى القرعُ من كلِّ النواحي
كأني منه في سوقِ النُّحاسِ

ومن جلسائه بل من أصفيائه الدكتور عبد الوهاب حومد ، والكاتب الناقد رئيف خوري وغيرُهم من الاساتذةِ الذين أتذكرُ من بينهم أحمدَ الجندي وفؤادَ الشايبَ ونسيبَ الاختيارِ والاستاذ الشاعرَ عمرَ أبو ريشةَ كلما أمَّ دمشقَ من حلب حيثُ يُقيم . وكان للاستاذِ رئيف خوري لقاءات" أُخر مع الاستاذ الصافي ظهراً حيناً ومساءً أحيانا في مطعمٍ صغيرٍ يقعُ في بدايةِ شارعِ بغدادَ قربَ البرلمانِ يدعى مطعمَ السنيورِ الحاج عبدالغني ، وكان تَناوُله الطعامَ فيه من قبيلِ التشجيعِ والمساعدةِ لصاحبه الذي قد بلغ من الفقر والعُسْرِ عِتيا ، ومن ذكرياتي أني شاهدتُ الصافيَّ في إحدى الأماسي يطلبُ من صاحبِ المطعمِ أن يضْرِبَ له على العودِ ، فأجابه بأنه مقطوعُ الوترِ ، ثم ألحَّ عليه فعزفَ وغنى ، وبعد أن انتهى ارتجل الاستاذُ قصيدةً سمعناها منه صاحب المطعم ورئيف الخوري وأنا . وهذه بعض أبياتها :

ومغنٍ بالغٍ سنَّ الكِبَرْ
ترعش الرجلان منه إن خطر
قلتُ أسمعنا على العودِ غنىً
قال إنَّ العودَ مقطوعُ الوتر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قلتُ غَنِّ فكلانا مثلُه
قطّعت أوتارَنا كفُّ القدر

فغدا يُنشد لي أُغنيةً
قطعت في عالمِ اللحن عُمر

ومن الذّكريات التي لن أنساها حضورُ الاستاذِ أحمدَ مصبّح ضهرِ الباشقِ بلبنان قرب مصيف بيتِ مري بدعوة من الدكتورِ وجيه الصبّاغ في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٥٠ م لالقاءِ قصائدَ ترفيهيةٍ على المرضى المصدورين ، وكان أن جلسنا على مائدةِ الغداءِ : الاستاذُ النجفيُّ والدكتورُ الصبّاغُ والآنسةُ « ليديا » مديرةُ المصحّ ومحاميةٌ من بيروتَ وأنا ، وكانت الآنسةُ ليديا شابةً في مقتبلِ العُمُر ذاتَ ثقافةٍ فرنسيةٍ عاليةٍ ، وجمالٍ انثويٍّ عالٍ ، تَنظِمُ الشعرَ بالفرنسيةِ ، وتتذوقُ الشعرَ العربيَّ ، وبعد أن انتهينا من الغداءِ والحديثِ ، طلب الاستاذُ من الآنسةِ ليديا أن يُلقيَ قصيدةً في وصفِها حيثُ شاهدها ذاتَ مرةٍ في بيروتَ تسوقُ سيارةً ، فرحّبت ثم صفّقت ثم ارتجل الاستاذُ فأصغت ثم بدأت بنقلها الى الفرنسية شعراً ، وها إني أقتطفُ منها هذه الأبيات :

غانيةٌ فاقت على جيلها وحقِّ قرآني وانجيلها
ساقت أُتُمبيلاً رفيقاً لها يجري رُخاءً وفق مأمولها

ولما سألها الاستاذُ السّماحَ له بالقائها على المرضى أجابته بالايجابِ شريطةَ أن يُستَل من القصيدةِ هذا البيت :

تعلّق القلب بها فاغتدى يحومُ كالطيرِ لتقبيلها

ذلك حفظاً لسلامتها ولصحة المرضى معاً حسبما ادّعت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وألقى الاستاذُ قصائدَ ترفيهيةً على المرضى عصرَ ذلك اليومِ ، وقبيلَ الغروبِ خرجنا الى نزهةٍ على رُبى لبنان المطلةِ على البحرِ ترصُدُ الغروبَ : الدكتور الصبّاغ والاستاذ وأنا . وبعد أن ودّعنا الشمسَ في رحلتها ، طلب الاستاذُ التوجهَ الى قريةٍ قُربَ مصيفِ بيت مري ليُهَنِّىء عائلةً هناكَ بمناسبةِ عيدِ الميلادِ ، وكانَ ربُّها قد أحسنَ اليه في السجنِ الذي أُودع فيه ـ بأمر من الاستعمارِ ـ بعد مشاركته جماهيرَ بيروتَ المتظاهرةَ تأييداً للعراقِ في ثورتهِ على الاستعمارِ عام ١٩٤١ م وقد ذكرت ربّةُ البيتِ بأنهم كانوا يتلون قصائدَ للصافي قبيل زيارتِنا لهم ، وقالت للاستاذِ : أنت ابن عمي رغمَ اختلافِنا في الدين ، فأنا قُرشيةٌ صحيحةُ النَّسبِ ، ثم قالت : إن الدمَ العربيَّ هو الذي يَدفعُها إلى حثِ زوجها بالحاحٍ على العنايةِ بالاستاذِ والترفيهِ عنه في سِجنه اذ كان مديراً للسجن آنذاك .

لئن اتفقت أنت والصافي على موعدٍ فيه تلتقيان في مكانٍ ما بدمشق ، فقد يأخذُكَ العجبُ حينما تقرأُ في صحيفةٍ أو مجلّةٍ أن الصافيَّ في بيروتَ أو حلبَ أو حماةَ ، في نفس التاريخِ المتفقِ عليه ، وأنّه ألقى قصيدةً في حفلٍ ما أُقيم هناك ، ولكن سيزولُ عنكَ العجبُ فيما لو علمتَ بأنّ الاستاذ كانَ يؤمنُ بأنّ الانسانَ مسيَّرٌ لامخيَّرٌ في كلّ الأمورِ أو في أمرِ المواعيدِ على أقلّ تقديرٍ ، ولا أدري لعل إيمانَه هذا كان لتبريرِ شطحاتهِ في المواعيد .

لو تصفّحت دواوينَ الصافي لوجدت فيها من اللّوحاتِ الفنيةِ الشيءَ الكثيرَ ، صوّرَ لنا فيهـا نفْسَه فنَجح ، وصوّرَ الطبيعةَ فنجحَ ، وصوّرَ والمجمعَ العربيَّ بتناقضاته فنجحَ كذلك : كوخٌ حقيرٌ وقصرٌ منيفٌ ، وغنىً فاحشٌ وفقرٌ مُدقعٌ ، وفلاحٌ واقطاعٌ ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحاكمٌ ظالمٌ واستعمارٌ غاشمٌ ، وشعبٌ مريضٌ وغافلٌ وجاهلٌ . لقد وفّر الصافي بلوحاته الفنية هذه ، الشيءَ الكثيرَ من الجهْد والعناءِ للباحثِ والمؤرخِ في القرن الواحد والعشرين أو ما بعده من عصور ، إذا ما أراد أن يكتبَ عن المجتمعِ العربيِّ في هذا القرن ، واليك ما قاله :

كلٌّ بشعري واجدٌ نفسَه ففيه أسرارُ الورى مودعهْ

تأثّر الصافي بثلاثةِ أفكارٍ ثوريةٍ ، تأثّر بثورةِ المعري على التفاوت الطبقي والظلمِ الاجتماعي ، وثورةِ الخيّامِ الشبيهةِ بها ، والأفكارِ الثوريةِ الحديثةِ التي هبّت على الشرق العربي من الشرق بعد الحرب العظمى الأولى ، وقد كان بثورته في شعره أقربَ إلى المعري منه الى الخيامِ ، لأن من طبيعةِ المفكّرِ العربي المتصوّف الثائرِ الزّهْدَ ، وهكذا زَهِد الصافيُ كما زَهِدَ المَعريُ ، وما هكذا كان الخيامُ ، وقد أشار الصافيُ في مقدّمته لرباعيات الخيامِ الى هذا بقوله :

أخيامُ قد أرسلت روحَك هادياً
لروحيَ في إتقانِ هذي التراجم
فانيَ تلميذٌ لروحِك في الأسى
أُمارسُه من قبلِ حلِّ التمائمِ
لئن نِلتَ من بعدِ التشاؤم لذةً
فما نِلتُ من دنياي غيرَ التشاؤم

قلتُ إن الأستاذَ أحمدَ تأثر بثلاثِ فلسفاتٍ ثوريةٍ ، الأولى فلسفةُ المَعري والثانيةُ فلسفةُ الخيامِ ، والثالثةُ الفلسفةُ المادية الحديثة ، وقد استطاعَ أن يَمْزُجَ هذه الأفكارَ الثوريةَ الفلسفيةَ معاً ، يُخمّرها بأفكاره الذاتيةِ وعبقريته الشعريةِ ، فيُخْرِجُها لنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شعراً ثائراً خالداً على الدّهر . ففي قصيدته « الفلاح » التي مطلعها :

رفقاً بنفسك أيّها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه رَباحُ

وختامها :

ياريفُ مالكَشِربُ أهلِكَ آجنٌ ر َنِقٌ وشِربُ ولاة أمرِكَ راحُ

أقول : إن في هذه القصيدةِ من ريحِ الثورةِ ما يكادُ أن يقتلعَ صروحَ الظّلم من القواعدِ ، وغبنٌ أني اجتزأت لك هذين البيتين من القصيدة فان من حقها أن تقرأ كاملةً ثم تعاد قراءتُها مرة ومرة ليتهيّأ هذا الجوُّ الصحيحُ من عُمقِ التجاربِ بينك وبينها ، هذا الجو الذي يستحيلُ من دونهِ أن يُنصِفَ القارىءُ شعراً أو شاعراً .

واليك قصيدةٌ أخرى أشبهَ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيةٍ تقتلعُ الفسادَ من الجذورِ وتوري الهشيمَ :

قد كثّرَ الفقراءَ ظُلمُ ذوي الغنى
لم يُكثِرِ الفقراء ظلمُ الباري
كم عاش قومٌ من طوى قومٍ وكم
عَمُرت ديارٌ من خرابِ ديار

الى أن يقول :

عَجَزَ الفقير عن استعادة حقّه
فأحال ذنبَ الفقرِ للاقدارِ
أغنيُّ لا تسخر بزفرة بائس
كم من دخان منذر بالنار

وللاستاذ قصائدُ ثوريةٌ عديدةٌ غيرُ هذه وتلكَ ، منها قصائده « أين الحرس » و « خادع الشعب » و « الهواجس الثائرة » وغيرُها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكرت أن الصافي تأثر بثورةِ المَعري على الظّلمِ الاجتماعي ، وهاكَ ما قاله أبو العلاء في هذا الخصوص :

طـال الثَّـواءُ وقـد أنَى لمفاصلي
أن تستبدَّ بضمِّهـا صحراؤهـا

فَتَرت ولـم تَفْتُرْ لشرب مُدامة
بل للخطوبِ يغولُهـا إسراؤهـا

مَلَّ المُقام فكم أُعاشر مِلَّةً
أمرتْ بغير صلاحها أُمراؤهـا

وأقول إنه تأثر بأبي العلاء في الثورةِ على التفاوتِ الطبقي حينما قال المَعري : غنى زيدٍ يكونُ لفقرِ عمرٍ وأحكامُ الحوادثِ لايُقسنَه فالمَعري كان اشتراكياً لولا أنَّه صاحبُ قناعةٍ وزهدٍ ، وهكذا كان الصافيُّ اشتراكيَّ الفكرِ ، فلسفيَّ السيرةِ ، ولم يكن ماركسياً كما لم يكن المعري بطبيعة الحال .

أمّا ثورة الخيامِ التي نجد قبساً من نارها عند الاستاذ أحمد فإليك صوراً منها ، قال الخيام :

لا يورثُ الدهـرُ إلا الهمـمَّ والكمدا
واليـومُ إن يعطِ شيئاً يستلبـه غـدا
مـن لـم يجيئوا لهذا الدهرِ لـو علموا
مـاذا نُكابـد منـه مـا أتوا أبـدا

وقال كذلك :

المـال إن لـم يغـدُ ذُخر ذوي النهى
فالفاقـدون لـه بعيشٍ أنكـد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أضحى البنفسجُ مطرقاً من فقرِه
والوردُ يضحَكُ لاقتناءِ العسجدِ

أمّا لو سألتني عن شعرِ الصافي لقلت بأنه كان شاعرَ الفكرِ والعاطفةِ والحسِّ والخيالِ ، ومن أراد الدليلَ فليتصفح دواوينَه العديدةَ ، ومن وجد عكس هذا فليقدم الدليلَ . قال الصافيُّ :

قد درست الحياةَ ما اسطاع فكري
فوجدتُ العلياءَ أفضلَ درس

قد دعاني الى المخاطرِ عزمي
وهداني الى العواطفِ حسي

ولا بد لي قبل أن أختِمَ حديثي عن أستاذي أن أتطرقَ الى جانبٍ آخرَ من سيرةِ الاستاذِ ، هي عقيدتُه الدينيةُ ، فأقولُ نقلاً عنه واستشهاداً بنَظمِه إنه كان مسلماً مؤمناً بالتقليدِ في صِباه حيث نشأ في بيت أفراده كلهم متديّنون ، ثم وَصَل بعدئذٍ في مسيرتهِ العقائدية الى حافة الشكِّ والجحودِ . اسمعه يقول في « الحيرة » :

تَعِبتُ في مفاوزِ الشكِّ نفسي
هل يقينٌ في ظلِّه تستريحُ

ما أرى هذه الطبيعةَ إلاّ
أخرساً كلُّ نُطقِه تلميحُ

إلى أن يقول :

كلميني ثم اصعقيني كموسى
أنا حسبي منك البيانُ الفصيحُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في « المحيط الخادع » :

مـــا في محيطيَ جـــاذبٌ يقتـادُني
فـاذا مَشَيتُ فمِشْيَتي عـن دافـع
لـي مـــانعٌ عـن ذكـر آرائي كمـا
لي مـانعٌ عـن ذكـرِ ذاك المـانعِ
صارعْتُ جبـارَ الأنـامِ وكيـف بي
إنْ كانَ جَبـارُ الزّمـان مُصـارعي

ثم عاد في آخر المطاف في كهولته الى حظيرة الايمان .
قال في « الله » :

كهـــولتي بالله قـــد آمنـــت
ضَـــل شبـــابي ودعـــاواه
فـــإن تجـــد ذا شيبـة جاحـــداً
فقـــل الـى المـــوتِ أحلنـــاه
روحُ « المعـري » فيّ قـــد آمنـت
فأبصـــرت في المـــوت عينـــاه
عاشـــت بروحـي روحُـــه ترتقي
فمـــذ سَمـــت لاح لهـــا الله
بـدأت تلميـــذاً عـــلى عقـــله
ثـــم اعتـــلى عقـــلي فأعـــلاه

إلى أن قـال :

رسالـــة الغفـران لـــم تغتفـــر
للشعـــرا كفـــراً بـــه فاهـــوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجئـــت في شعـــري مستغفـــراً
عـــن (المعـــري) وخطـــاياه

وبعد : فقد عَرفت الاستاذَ في أواخر الثلاثينات ، ثم تعرَّفتُ عليه في مطلع الأربعينات ، ثم كتبت عنه عـام (١٩٤٧ م) في مجلّة الجزيرةِ الموصليةِ ، ثم زوّدني في صيف عام (١٩٧٣) في آخر لقاء كان بيننا وكان ببيروت ، أقول زوّدني بقصيدتين هما « طفولتي » و « الطفل الشيخ » . وقد ذكر لي الاستاذ انهما لم تنشرا حتى ذلك التأريخ ، وها إني أوردهما :

« طفولتي »

تعـودُ بي الذكـرى لعهـد طفـولتي
فأُبصـر طفـلاً في التلاميـذ وادعـا

كأني أَراه الآن مـن خَـلفِ دُرجـه
هَزيـلاً حييـا خافض الطـرف خاشعا

بـه وحشـةٌ مستغـرقٌ في خيـاله
يُخـال إذا كلّمتَـه ليـس سامعـا

اذا انصرفـوا للّعـب شاركهـم بـه
قليـلاً وولـى للزّويـة قابعـا

يُفكّـر في أَلعابهـم متفرجـا
ويسـرع في حقـلِ التفكـرِ راتعـا

فأغـدوا أقـول الآن هـل ذلكم أنـا
ويُبـدع ربّي مُبْدعـاً وبدائعـا

وأغـدو أكادُ الآنَ أُنكـر مـا أرى
وأُصبحُ في بحرٍ مـن الشّـك واقعـا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رفـاقي في الكتّاب حين يرونني
يَرون عَجيبا يَصْدِمُ النّفسَ رائعا
يقولـون هـذا كيف كان وكيف قد
غدا فامتلَوْا غيظاً وعضّوا الأصابعا
وقالـوا إذا سيرُ أحمدَ هكذا غدا
ومنّا لـه قد غدا الكل تابعا(١)
لقـد أبصروا بي آيـة لإلاههـم
تصير كُـلّا مؤمـن النفس طائعـا

« الطفـل الشيخ »

مـا قُلت شِعراً في الصِّبا وعليـه أنـدمُ في الكهوله
مـا قُلتُـه إلاّ وقـد كَمُلت لدى النفس الرجّوله
أنا في قيـاسِ السنِّ أكبـرُ كنت مـن عهـد الطفـوله
كـم جُـزت حـدَّ السن بحثاً في أمـور مستحيلـه
قـد كنت أنطِـق يافعـاً حينـاً بأفـكار جليلـه
بـين الرّجـال تكلّمـي ومداركي ليستْ كَليلـه
ولكم نهـاني الأهلُ لكـن ليس لي في الصّمت حيـله
كم قـلت فكراً في الصِّبا واليـومَ أعجِـزُ أن أقوله
فنظمتـه فأثـار إعجـابا لـدى أهـل الكهولـه
أمـن المسيـح أخـذتُ روحـاً شـاء في روحي حلوله
أنا في الصِّبـا بالعقل شيخٌ لـم أجـد شيخاً مثيله
واليـومَ شيخُ السنِّ لكن روحـهُ روحُ الطفـوله

فسلام على الصافي يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

الموصل :

فيصل دبدوب
عضو مجمع اللغة العربية

---

(١) كذا في نص المقال « لجنة المجلة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net